هل تأخذ القاهرة دور أنقرة ـ الدوحة 2005 في الملف السوري؟

■ عامر نعيم الياس*

قبيل عام 2010، قاد وزير الخارجية التركي حينذاك أحمد داود أوغلو، السياسة الخارجية لتركيا وفقاً لقاعدة «صفر مشاكل». تصالحت تركيا بموجبها مع دول جوارها وتقرّبت من الشرق عبر البوابة السورية. التحقت قطر على الدوام بالركب التركي على الصعيد الإقليمي، لم يكن من السهولة بمكان التفريق بين الموقفين التركي والقطري، فاحتواء سورية، أو بعنى آخر التقارب إلى حدّ التطابق مع محور المقاومة والممانعة كان السمة الأبرز التي دفعت بعض المراقبين إلى التفريق في ما بين مصر مبارك والسعودية حينذاك، كونهما رأس محور الاعتدال، وبين تركيا أردوغان وقطر الحمدين باعتبارهما الأقرب إلى المحور المقاوم، فهل كان هذا الفرز صائباً؟

بدايةً، الافتراق كانت مع الربيع الأميركي في المنطقة وبدأ الإسلام السياسي بالصعود في تونس وبعدئذٍ في مصر، هذه الأخيرة كانت الحد الفاصل في كشف الغطاء عن المشروع الحقيقي وإزالة الأقنعة عن ذلك الإسلامي المحافظ في تركيا وحليفه القطري، بدأت الأحداث في سورية وانقلبت أنقرة والدوحة «حلفاء» دمشق والمحور الذي تنتمي إليه عليهما، صارت الحرب على سورية وخياراتها، إسقاط الدولة السورية وخياراتها الوطنية ودورها ضمن المنظومة الإقليمية التي تنتمي إليها، وعند هذه النقطة عادت صورة المشهد السابق إلى الذاكرة وربطاً مع الصورة التي تبلورت في عام 2012، أصبح بإمكاننا القول إن المعادلة الأميركية في المنطقة تقوم على التالي: محور الاعتدال وفي قلبه الكيان الصهيوني، يتألف من الممالك العربية والإمارات كافة مضافاً إليها مصر وتركيا وتونس، وضمن هذا المحور يوجد جناحان الأول قطري ـ تركي، والآخر مصري سعودي، عاد اليوم إلى الواجهة بعد سقوط الإخوان في مصر، إذ يتصارع هذان الجناحان تحت سقف الاستراتيجية الأميركية في المنطقة والخطوط الحمراء الخاصة أولاً، بعدم التشويش على وضعية الكيان الصهيوني، وثانياً، الحرص على اللعب ضمن حدود الرقعة الجغرافية للفوضى التي صاغها المفكرون الاستراتيجيون الأميركيون، وثالثاً، عدم استهداف الاستقرار الداخلي للدول المنضوية في المحور الأميركي. لكن هذا الصراع يخضع للضبط على ساعة المصالح الأميركية، بمعنى، من الممكن في لحظة تأزم في السياسة الأميركية أن يُؤمَر المخرج لواشنطن عبر أحد أجنحة سياستها وترك الآخر على نهجه ضماناً لعدم التأثير على صورة واشنطن ومكانتها على الصعيد الدولي. هنا تبقى سورية المثال الواضح على ذلك سواء في عام 2005 أو في اللحظة الراهنة، ولكن مع تبادل أدوار بين الأجنحة المنضوية ضمن محور «الاعتدال» في المنطقة، ففي عام 2005 تم التقارب التركي القطري مع القيادة السياسية في سورية وكان الهدف البدء بتطويع الدولة في سورية واحتوائها بما يخفف من اندفاعة المحور المقاوم ويساعد في بلورة تفاهمات الحد الأدنى التي تضمن للسياسة والأدوات الأميركية في المنطقة البقاء وممارسة دورها الوظيفي، مقابل الدفع بالازدهار والاستقرار في المنطقة إلى حدود مناسبة.

هو احتواءٌ بانتظار إما حدوث تغيير في المحور المقاوم، أو نضوج الظروف المناسبة للانقلاب عليه، رجّح الخيار الثاني في عام 2010 وبدأ الانقلاب، لكن صمود سورية ساهم إلى حدٍّ كبير في ضرب مشروع الإسلام السياسي وعادت مصر إلى ممارسة دورها في المنطقة، تلقفت السعودية العودة المصرية وعاد التوازن إلى أقطاب المحور المعتدل. وفي هذا التوقيت، ظهر «داعش» الذي قلب الطاولة على رأس الجميع وخلط الأوراق في المنطقة، ما فرض عودة أميركية إلى قيادة الحرب على «داعش» في سورية والعراق من الصفوف الأمامية، وهو ما طرح سيناريو «التعامل مع الأسد» إلى الواجهة.

وعلى رغم إصرار الإدارة الأميركية العلني على تجاهل هذا السيناريو، وتأكيد المتحدثة باسم البيت الأبيض على عدم التعامل مع الأسد، إلا أن المؤشرات تتجه عكس ذلك بدءاً من اجتماع وزراء الخارجية العرب في جدة من دون الخروج ببيان يستهدف سورية وقيادتها، مروراً بزيارة مساعد وزير الخارجية الإيراني إلى السعودية بعد الاجتماع الذي جرى بين وزراء الخارجية العرب، وليس انتهاءً بتصريحات سامح شكري وزير الخارجية المصري الذي دعا إلى العمل مع جميع أطراف الأزمة السياسية في سورية ضمن إطار سياسي. تصريحٌ يعكس إلى جانب تغيّر الموقف المصري من الدولة السورية ومن الأزمة برمتها، وجود بوادر لإعادة تجربة السيناريو القطري التركي مع سورية في عام 2005، سيناريو دخلت اليوم طهران على خط الدفع به، حين قال مستشار الإمام الخامنئي، علي ولايتي، خلال استقباله وفداً إعلامياً مصرياً: «لولا دعم مصر وصمود المقاومين لما تحقق انتصار غزّة... لا أحد بإمكانه أن يأخذ مكان مصر»، هو غزل مبني على معطيات صارت على طاولة أقطاب الأزمة في سورية. فالقاهرة اليوم تلتقي وطهران وبإمكانها تليين موقف الرياض حول سورية، فهل يتم إنضاج دور مصر السيسي لبلورة المخرج المناسب لكافة الأطراف المنضوية في الأزمة السورية بالتوازي مع الحرب الأميركية على تنظيم ما يسمى «الدولة الإسلامية في العراق وسورية؟

* كاتب سوري

«داعش» يجمع «الأعداء» في جبهة ضدّ إرهابه التكفيريّ ونتنياهو يراوغ مجدّداً لعرقلة المفاوضات

«البناء»

ربّ ضارة نافعة، مأثورة قد تصلح في توصيف الأوضاع التي آلت إليها المنطقة، مع إعطاء هذه الـ«قد» مدى «مطّاطاً» تكثر فيه التأويلات والتخمينات وحتّى... التمنّيات.

«داعش»، التنظيم الآخذ في الصعود وحشيةً، قد يحوّل ـ على ذمّة الصحافة الأميركية أمس، الأعداء القدامى إلى أصدقاء جدد. فخريطة العلاقات بين الدول والجماعات المختلفة في المنطقة قد تتغيّر. وربما نشاهد إيران تشبك الأيادي مع السعودية بعد خصومة ترجع إلى عام 1979، إذ أصبحت مخاوفهما واحدة وتتمثّل في «داعش». وربما أيضاً نشهد تناسياً لما حصل في أوكرانيا، فتتفق روسيا وأميركا، والهدف المشترك... «داعش»!

الولايات المتحدة المطالَبة من قبل شعبها وفاعلياتها السياسية بخطوات أكثر حزم لكبح جماح «داعش»، تستعد وزارة دفاعها لافتتاح قاعدة للطائرات من دون طيار في النيجر ـ أفريقيا، لتعقب المقاتلين الإسلاميين الذين يقوّضون استقرار أجزاء في شرق أفريقيا وغربها على حدّ قول «واشنطن بوست». فيما اعتبرت مجلة «تايم» الأميركية أنّ تقييم رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون للمشكلة التي تواجهها بلاده بأنها تهديد أكثر ممّا رأوا من قبل، يجدد الضغوط على الرئيس الأميركي باراك أوباما لتقديم ردّ أميركي أكثر تماسكاً على الأزمة المتنامية في الشرق الأوسط.

وإزاء ما يحصل في فلسطين المحتلة، اعتبرت وزيرة الخارجية الإيطالية فيديريكا موغيريني، أنّ إعلان السلطات «الإسرائيلية» مصادرة أراض فلسطينية في الضفة الغربية يمثل عقبة في طريق السلام. فيما أسرّ رفيف دروكر ـ مراسل القناة العاشرة في تلفزيون العدو الصهيوني للشؤون السياسية ـ أسرّ لصحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية، أنّ رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو قال في جلسة مغلقة مساء الاثنين الماضي إنه لا ينوي إرسال الوفد «الإسرائيلي» إلى القاهرة لاستكمال المفاوضات. وأنه ـ أي نتنياهو ـ تحدث في اللقاء عن هزيمة سيلحقها بحركة حماس من خلال عدم تحقيق أيّ من مطالبها في المفاوضات.

«واشنطن بوست»: البنتاغون يفتتح قاعدةً للطائرات من دون طيار في أفريقيا لمواجهة الإرهابيين

قالت صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية، إن وزارة الدفاع الأميركية تستعد لفتح قاعدة للطائرات من دون طيار في واحدة من أبعد الأماكن على وجه الأرض في مفترق طرق القوافل القديمة في وسط الصحراء الأفريقية. فبعد أشهر من المفاوضات، سمحت حكومة النيجر للجيش الأميركي بتحليق طائرات من دون طيار غير مسلحة من مدينة أجاديز الصحراوية، وفقاً لمسؤولين من الولايات المتحدة والنيجر. وهذا القرار الذي لم يُكشف عنه من قبل، يمنح البنتاغون محور مراقبة آخر، هو الثاني في النيجر والثالث في المنطقة لتعقب المقاتلين الإسلاميين الذين يقوّضون استقرار أجزاء في شرق أفريقيا وغربها. كما أنه يعزّز أيضاً الاستراتيجية الأميركية غير المعلنة بشكل كبير، والرامية إلى التعامل مع فرنسا في مكافحة تهديدات الإرهاب. وعلى رغم أن الدولتين لديهما تاريخ متنوع من الخلاف في ما يتعلق بالعمل العسكري، إلا أن القوات الأميركية والفرنسية تعمل معا، وهي توسع بشكل ثابت من وجودها بمنطقة غرب أفريقيا الفقيرة. إذ تشعر باريس وواشنطن بقلق من وجود الجماعات «الجهادية»، بعضها تابع للقاعدة والتي ضربت بجذورها في دول تعجز حكوماتها عن بسيط سيطرتها على أراضيها. وفي عاصمة النيجر نيامي، أقامت القوات الأميركية والفرنسية منصة مجاورة للطائرات من دون طيار العام الماضي من أجل إجراء طلعات استطلاع فوق مالي، إذ يحاول 1200 جندي فرنسي قمع التمرد الذي اندلع عام 2012.

«وول ستريت جورنال»: «داعش» يوحّد الأعداء في المنطقة

قالت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية إنّ الصعود الوحشي لتنظيم «الدولة الإسلامية» حوّل الأعداء القدامى إلى أصدقاء جدد. وتحدثت الصحيفة عن تغيّر خريطة العلاقات بين الدول والجماعات المختلفة في المنطقة. وتشير الصحيفة إلى أنّ إيران الشيعية والسعودية السنّية، اللتين تمثلان خصماً مريراً منذ عام 1979، أصبحت مخاوفهما واحدة تتمثل في التنظيم الإرهابي المسلح «الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام»، الذي يسعى إلى اغتصاب قيادة العالم الإسلامي. وهذا قاد البلدين إلى دعم المرشح المستقل نفسه لقيادة العراق، في مسعى إلى تشكيل حكومة جديدة يمكن أن توحّد السنّة والشيعة لمحاربة التنظيم. وتقول الصحيفة إن لقاءً نادراً جمع دبلوماسيي السعودية وإيران هذا الأسبوع، لإجراء مشاورات حول هذا الخطر. وفيما طال العداء بين تركيا والأكراد، خصوصاً الجناح العنيف من حزب العمال الكردستاني الذي يريد الاستقلال لتشكيل دولة كردية بين العراق وسورية وتركيا، فيبدو أن الأتراك غيّروا وجهتهم بعدما لعبت الميليشيات الكردية السورية، التابعة لحزب العمال، دور البطولة في إنقاذ الأيزيديين، الذين تقطّعت بهم السبل أعلى جبل سنجار، بعد مطاردة مقاتلي «داعش» لهم. وتقف روسيا والولايات المتحدة على طرفَيْ النقيض في أوكرانيا وغيرها، بما في ذلك الشرق الأوسط. البلدان يتفقان على أن هذا النوع من الإسلام العنيف الذي يمارسه تنظيم «الدولة الإسلامية ـ داعش»، الذي يسيطر على مساحات شاسعة من العراق وسورية، يتهدّد النظام العالمي في البلدين. وبحسب الصحيفة الأميركية، فإن «جبهة النصرة»، التابعة لتنظيم القاعدة، ربما انضمت إلى المعركة ضدّ «الدولة الإسلامية» واشتبكا معاً بعنف في ساحات القتال في سورية، بعد توسيع سيطرة «داعش» على الأراضي.

ويقول محللون إنّ هناك حاجة إلى تحالف الراغبين، كما ينبغي على الإدارة الأميركية حشد نوع من تحالف غير الراغبين. وسواء كان ذلك ممكناً أو عمّا إذا كانت الولايات المتحدة لديها نفوذ ومكر لتوحيد هذه القوى، بشكل رسمي علني، فيبقى السؤال مفتوحاً.

ودعا زبيغنيو بريغنسكي، مستشار الأمن القومي الأميركي السابق، إلى نهج يركّز على حفنة ممّا تصنّف باعتبارها دول قابلة للحياة تتمثل في مصر وإيران وتركيا والسعودية و«إسرائيل»، لمواجهة التنظيم الإرهابي الخطير.

«غارديان»: الشكوك القانونية عرقلت مقترحات أساسية لمكافحة الإرهاب في بريطانيا

علّقت صحيفة «غارديان» البريطانية على الإجراءات التي أعلنها رئيس الحكومة البريطانية ديفيد كاميرون لمحاربة الإرهاب، وقالت إن مقترح كاميرون لمحاربة تهديد «داعش» شهد بداية متعثرة عندما اضطره إلى التخلي عن المقترحات الأساسية في ظلّ الشكوك القانونية واعتراضات الديمقراطيين الأحرار، وأيضاً شكوك من داخل أجهزته الأمنية.

وأضافت الصحيفة أنّ حزمة إجراءات كاميرون لمحاربة الإرهاب التي أعلن عنها في مجلس العموم البريطاني أوّل من أمس، لم تشمل مقترحاً لمنع المواطنين المولودين في بريطانيا من العودة إليها من سورية أو العراق لو كانت هناك شكوك حول تورّطهم في أعمال الإرهاب. واعترف كاميرون بالمصاعب القانونية في ذلك، وأنّ هذا سيجعلهم بلا جنسية، وقال إن الإجراءات الجديدة لا تزال بحاجة إلى منع «الجهاديين» البريطانيين من العودة.

وفي افتتاحيتها، قالت «غارديان» إن تلك الخطط التي أعلنها كاميرون أُعدّت على عجل، وربما بدا رئيس الحكومة هادئاً بما يكفي لمناقشة عموميات تهديد «داعش»، إلا أن مقترحاته فاح منها الذعر.

وانتقدت الصحيفة المقترحات، وقالت إن البند الأول في خطة كاميرون يسمح للسلطات بترحيل الأفراد الذين لم يحاكموا أو يُتّهموا بأيّ جريمة، والبند الثاني يتعلق بإبعاد المواطنين البريطانيين العائدين من «داعش»، وهو ليس بمقترح فعّال. فكاميرون لم يستطع القول كيف يمكن أن ينجح هذا، وربما لا يحدث ذلك على الإطلاق.

ورحّبت الصحيفة باعتراف كاميرون بشأن التزامات المعاهدة الخاصة بمنعدمي الجنسية. وقالت إن هذه الواجبات ليست مجرد حلم للمحامين المتعطشين للعمل، بل إن لدى بريطانيا مصلحة قوية في التأكد من أن دولاً أخرى تقبل بالمجرمين المرحّلين. الفكرة الثالثة تتعلق بتمكين الشرطة من مصادرة جوازات سفر المقاتلين على الحدود. وقالت الصحيفة إنه في حين أن جواز السفر هو الوسيلة الوحيدة اليوم لجعل عنصر مهم من عناصر الحرية فعالاً، إلا أنه ليس حقاً مطلقاً. فبإمكان وزير الداخلية مصادرته عندما يتطلب الأمن ذلك.

«تايم»: إجراءات كاميرون لمحاربة الإرهاب تجدّد الضغوط على أوباما

اهتمت مجلة «تايم» الأميركية بإعلان رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون عن سلسلة من الإجراءات الجديدة لمكافحة الإرهاب في الداخل، والتي جاءت بعد أيام من رفع المملكة المتحدة مستوى التهديد الإرهابي إلى مستوى «الخطر الشديد».

وأشارت المجلة إلى أن كاميرون منح الشرطة صلاحيات كاسحة لمصادرة جوازات السفر الخاصة بـ«الجهاديين» المشتبه في تخطيطهم للسفر إلى العراق أو سورية للقتال مع الجماعات المسلحة مثل «داعش»، أو يعودون للبلاد بعد ذلك. كما سيسمح كاميرون أيضاً لسلطات تطبيق القانون بإصدار حظر سفر موقت على المواطنين الذين تحدّد أسماءهم الاستخبارات للتعامل مع تدفّق المتشدّدين المولودين في بريطانيا من للمملكة. وإليها. كما سيطلب من الخطوط الجوية البريطانية تسليم معلومات عن الركاب المسافرين من مناطق الصراع وإليها.

وقال كاميرون في خطاب أمام مجلس العموم البريطاني أوّل من أمس: «نحن بحاجة إلى صلاحيات أقوى للتعامل مع الخطر الذي يفرضه المتشدّدون المشتبه بهم، والمتواجدون بالفعل في بريطانيا». وتعترف الحكومة البريطانية بأنه لا يوجد لديها معلومات استخباراتية تشير إلى وجود خطر وشيك، إلا أن الصراع المستمر في سورية والعراق قد عزّز المخاوف بشأن تورط أشخاص يحملون الجنسية البريطانية، والذين تشير التقارير إلى أن أعدادهم تتجاوز الخمسمئة.

وقالت «تايم» إن تقييم كاميرون للمشكلة التي تواجهها بلاده بأنها تهديد أكبر لأمن بريطانيا أكثر ممّا رأوا من قبل، يجدد الضغوط على الرئيس الأميركي باراك أوباما لتقديم ردّ أميركي أكثر تماسكاً على الأزمة المتنامية في الشرق الأوسط. إلا أن المسؤولين الأميركيين قالوا إنه ليس هناك تهديد محدد ضد الولايات المتحدة، وليس هناك خطط لرفع مستوى التهديد الإرهابي، بما يسلط الضوء على الجهود الأخيرة التي تهدف إلى تحسين الأمن القومي الأميركي.

«يديعوت أحرونوت»: نتنياهو يؤجّل إرسال وفد المفاوضات إلى القاهرة لمتابعة وقف إطلاق النار

كشفت القناة العاشرة في التلفزيون «الإسرائيلي» أنّ رئيس الوزراء «الإسرائيلي» بنيامين نتنياهو، ينوي عدم إرسال الوفد الصهيوني إلى القاهرة لمتابعة مفاوضات وقف إطلاق النار في غزّة في الوقت الحالي، والمفترض إجراؤها خلال شهر من وقف إطلاق النار.

ونقلت صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية عن رفيف دروكر مراسل القناة «الإسرائيلية» للشؤون السياسية قوله: «إن رئيس الوزراء الإسرائيلي قال في جلسة مغلقة مساء أمس (الاثنين) إنه لا ينوي إرسال الوفد الإسرائيلي إلى القاهرة لاستكمال المفاوضات». موضحاً أن نتنياهو تحدث في اللقاء عن هزيمة سيلحقها بحركة حماس من خلال عدم تحقيق أيّ من مطالبها في المفاوضات.

وأضافت القناة «الإسرائيلية» أن نتنياهو لم يقل كامل الحقيقة بسبب إغفاله ذكر التنازلات التي قدّمها، خصوصاً في ملفات فتح المعابر والصيد.

وكان قد توصل الطرفان الفلسطيني و«الإسرائيلي» يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضي، إلى هدنة طويلة الأمد برعاية مصرية، تنصّ على وقف إطلاق النار وفتح المعابر التجارية مع قطاع غزّة بشكل متزامن. وتضمّنت الهدنة وقف إطلاق نار شامل ومتبادل بالتزامن مع فتح المعابر بين غزّة و«إسرائيل»، بما يحقق سرعة إدخال المساعدات الإنسانية والإغاثة ومستلزمات الإعمار للقطاع، الذي يسكن فيه حوالى 1.9 مليون نسمة.

«القناة الثانية الإسرائيلية»: الطائرة من دون طيّار التي أسقطت فوق الجولان إيرانية

زعمت «القناة الثانية» في تلفزيون العدو أن الطائرة من دون طيار التي أسقطها الجيش الصهيوني فوق الجولان المحتل بصاروخ من نوع «باتريوت»، هي طائرة إيرانية.

وبحسب القناة، فإن الطائرة التي أسقطت هي من طراز «يسير»، التي صنعت في إيران في أيلول 2013، مبينةً أنها اعترضت في أجواء القنيطرة لحظة دخولها الأجواء «الإسرائيلية» من دون إحداث أيّ أضرار.

وأشارت القناة إلى أنّ هذا النوع من الطائرات، لديه القدرة على التحليق على ارتفاع أكثر من 1.5 كيلومتر، مع قدرة على الطيران والتحليق في دائرة مداها 200 كيلومتر لمدة ثماني ساعات. مبينةً أنها صُنعت بعدما استولى الجيش الإيراني على طائرة أميركية في أيلول 2012.

وقال الناطق باسم الجيش الصهيوني، إن الطائرة قام بتسييرها الجيش السوري، وربما تكوّن دخلت المجال الجوي «الإسرائيلي» عن طريق الخطأ.

من ناحيته، ذكر موقع «تيك دبكا» الصهيوني المقرّب من دوائر الاستخبارات الصهيونية، أنّ «طائرة الاستطلاع التي أُسقطت قرب القنيطرة في الجولان أرسلها حزب الله لا الجيش السوري»، موضحاً أنّ هذا الطراز من طائرات الاستطلاع صناعة إيرانية، ويُستخدم في تصوير بعض المناطق والمهام الاستخباراتية.

وأضاف الموقع أنّ الطائرة انطلقت من إحدى القواعد الجوية في دمشق، مشيراً إلى أنه بعد رصد الأجهزة «الإسرائيلية» الطائرة، أبلغت القيادتان السياسية والعسكرية، إذ قرّر كبار القادة الصهيونية إسقاط الطائرة، موضحاً أنّ هذه الطائرات تستخدم في رصد بعض أهداف الجماعات المسلحة في سورية.

«آي بي سي»: موغيريني تعتبر مصادرة «إسرائيل» أراضٍ فلسطينية عقبة في طريق السلام

قالت فيديريكا موغيريني، وزيرة الخارجية الإيطالية، إن إعلان السلطات «الإسرائيلية» مصادرة أراض فلسطينية في الضفة الغربية يمثل عقبة في طريق السلام. مجدّدة الدعوة إلى الامتناع عن تبنّي إجراءات أحادية.

وقالت موغيريني، في بيان لوزارة الخارجية الإيطالية، إن المستوطنات، ليست غير قانونية على أساس القانون الدولي فقط، إنما تمثل عقبة في طريق السلام وآفاق حل الدولتين. وأضافت أنّ إيطاليا جنباً إلى جنب مع الشركاء الآخرين في الاتحاد الأوروبي، وناشدت دائما الجانبين الفلسطيني و«الإسرائيلي»، الامتناع عن تبنّي إجراءات أحادية الجانب وغير مثمرة، مثل تلك التي أعلنت، والتي قد تؤثر على الحوار. وأوضحت أنه في ظل الظروف الحالية، وبعد الصراع الدموي في غزّة، «يجب علينا بذل كل جهد لإحياء عملية السلام والتوصّل إلى حل حقيقي للصراع».

العلاقات الأميركية ـ «الإسرائيلية» تصل إلى مرحلة المحاسبة*

2

دايفيد روثكوبف

كلّما حصل هذا، كلّما كان ردّ فعل الحكومة «الإسرائيلية» أكثر جرأة... ما يؤثر سلباً على العلاقات «الإسرائيلية» ـ الأميركية؛ والهجمات على كيري؛ والإفصاح عن مضمون المكالمات الهاتفية؛ فضلاً عن لغة التواصل الفظّة. فالقادة «الإسرائيليون» مصرّون على الذهاب إلى البيت الأبيض وإلى الكونغرس. حتى أنني أمتلك بعض المحادثات لـ«الإسرائيليين» تقول إنّ «الأميركيين لا يفهمون الوقائع؛ إنهم سُذّج». غير أننا ندرك الحقائق جيداً. يبدو أنّ عدداً من القادة «الإسرائيليين» يتجاهلون ما نتحدث عنه، من تحوّل أجيال تاريخي سيلقي بظلاله على المكوّن الأساس للداعم الرئيس العالمي لدولتهم. فكيف تفسر إذاً هذا التناقض الفاضح؟

– أعتقد أنّ مردّ ذلك يعود إلى أنّ «إسرائيل» لم تعُد تلك الدولة الصغيرة والضعيفة ما صبغ علاقتها الوثيقة وموقعها المعتمد بشكل كلّيّ على الولايات المتحدة. فهي تمتلك اليوم جيشاً واقتصاداً قويّين، كما أنها عملت على تطوير علاقاتها مع القوى العالمية، وهذا لم يكن متوفراً لديها سابقاً.

قلّة قليلة هم من لاحظوا أن الحكومة الهندية كانت من الدول التي دعمت «إسرائيل» في هذه الحرب؛ أيّدت وسائل الإعلام الصينية «إسرائيل»، التي طوّرت علاقات استراتيجية مع البلدين، وأيضاً مع روسيا، ما حدا بـ«إسرائيل» إلى تغييب نفسها عن تصويت الجمعية العمومية للأمم المتحدة يدين ضمّ شبه جزيرة القرم لروسيا. وأعتقد أن هناك توجّه عام في «إسرائيل» يكمن في جرأتهم على تحمّل الابتعاد عن الولايات المتحدة. يرى «الإسرائيليون» أيضاً إمكانية كبيرة في التعاون مع دول الخليج كانت منتفية من ذي قبل، فهناك الآن مصالح مشتركة، تتمثل في كبح جماح البرنامج النووي الإيراني والتخوّف من سيطرة إيران على المنطقة، والقضاء على نظام بشار الأسد في سورية، ومحاربة حزب الله والإخوان المسلمين وقرينتهم حماس في غزّة... تتشارك «إسرائيل» هذه الحزمة من الأعداء مع الأنظمة الخليجية السنيّة ونظام عبد الفتاح السيسي في مصر. وقد انعكس ذلك بوضوح على الأزمة في غزّة، إذ دعم السعوديون والمصريون «إسرائيل» للقضاء على حماس.

إذاً، هذه العوامل مجتمعة أشعرت «إسرائيل» بأهمية العمل على استقلاليتها أكثر عن الولايات المتحدة، خصوصاً أنّ هذه الأخيرة خسرت الكثير في المنطقة. كما أن القادة العرب شعروا بضعف أميركا، ورأوا حاجتهم إلى التعاون مع «إسرائيل» من تحت الطاولة لمواجهة الفوضى والتهديدات المحيطة.

وأعتقد أنّ الإطار الذي تتواجد فيه «إسرائيل» الآن مختلف جداً. فبعض سياسيي اليمين المتطرّف يرون أنّ الوقوف إلى جانب الولايات المتحدة تعبير رخيص عن استقلاليتهم ووطنيتهم. لا أذكر أنه سبق لليمين السياسي المتطرّف أن كسب شعبية بعد انتقاده سياسة الولايات المتحدة. لكن يبدو أن هؤلاء لا يبالون بدفع الثمن. بل أتوقع ما هو أعمق من هذا، لقد أصبحت «إسرائيل» قوّة قائمة بحدّ ذاتها، ولم تعُد بحاجة إلى الولايات المتحدة. إنها «إسرائيل» المتغطرسة.

حصل هذا مرة قبل حرب عام 1973، عندما شعر «الإسرائيليون» بأنهم القوة العظمى في المنطقة وليسوا بحاجة إلى أن يقلقوا بشأن أيّ دعم من الولايات المتحدة. لكن آمالهم خابت عندما فاجأتهم كلّ من سورية ومصر بالهجوم المباغت في يوم الغفران عام 1973، إذ وجدت «إسرائيل» نفسها فجأة بحاجة ماسة إلى دعم الولايات المتحدة. لذا، قد تنفجر فقاعة الغرور هذه وسيفهم حينذاك قادة اليمين المتبجحين أنّ الولايات المتحدة ليست فقط أهم صديق لـ«إسرائيل»، بل الصديق الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه.

● هل ترى أنّ البيت الأبيض حاول إرسال رسالة حول غزّة؟ هل تعتقد أنه يمارس المزيد من الضغط على «الإسرائيليين»، وهذا ما لم يتعوّدوا عليه؟

– لا أعتقد ذلك. بل أرى اهتماماً رئاسياً بحجم الخسارة التي وقعت في صفوف المدنيين في غزّة، وقد عبّر البيت الأبيض عن ذلك في الجلسات الخاصة أولاً ثم علانية. وهذا التعبير جاء كردّ فعل بعد قصف مراكز الأمم المتحدة التي كانت تؤوي الأبرياء، خصوصاً الأطفال.

كان الرئيس أوباما واضحاً جداً منذ بداية توليه الرئاسة. وهذا لم يُكسبه شيئاً بين «الإسرائيليين» أنفسهم أو حتى أولئك الداعمين لهم في الولايات المتحدة. فقد اعتبر أنه مهما تكن الخلافات بينه وبين رئيس الوزراء «الإسرائيلي»، فإنه لن يسمح لذلك بالانسحاب على العلاقات الأمنية. فهو لا يزال داعماً أساسياً لمتطلبات الأمن «الإسرائيلي» على رغم التوتر الحاصل على مستوى العلاقة الشخصية.

لذا، لا أعتقد أنّ البيت الأبيض يفكر اليوم في إيقاف دعم «إسرائيل» بالأسلحة والعتاد بهدف الضغط عليها لإيقاف إطلاق النار. فـ«الإسرائيليون» ـ في الحقيقة ـ هم من كانوا يطلبون وقف إطلاق النار. السؤال كان حول كيفية إرغام حماس على إيقاف إطلاق صواريخها.

● إلامَ تعزو أسباب هذه الهجمة الواضحة على وزير الخارجية الذي كان يتفانى في السعي قدماً إلى تحقيق تقدّم في مسار مفاوضات السلام والتي ستصبّ ـ على الأقلّ نظرياً ـ في مصلحة «إسرائيل»؟

– حسناً، بدأ هذا مع هجوم وزير الدفاع موشي يعالون، على وزير الخارجية الأميركية خلال علمية التفاوض، والتي أعزوها إلى سببين رئيسين. يكمن الأول في أنّ وزير الدفاع يدرك تماماً حاجات «إسرائيل» الدفاعية، والثاني أنه لا يريد سحب قواته من نهر الأردن، وهذا ما ستتضمنه المحادثات إذا ما وُقّعت الاتفاقية. إذاً، كان هناك عدم موافقة موضوعية، لكن التصرّف بقلّة احترام أمرٌ مزعج للغاية، خصوصاً عند الأخذ بعين الاعتبار المساعدات الأميركية المقدّمة لدعم الأمن «الإسرائيلي» وتطويره، وهذا ما يتحمل مسؤوليته وزير الدفاع نفسه.

وقد خرج هذا الموضوع عن السيطرة أثناء الحرب على غزّة، حين هوجم كيري، بصفته خائناً لـ«إسرائيل» لأنه كان يفاوض مع رئيس الوزراء على وقف لإطلاق النار، ويحثّ كلاً من قطر وتركيا للضغط على حماس بهدف إيقافً صواريخها. ولم يتبنّ هذا الانتقاد اليمين السياسي فقط، بل وصل إلى ذروته مع المعتدلين أيضاً، بعدما نشرت صحيفة «هآرتس» ثلاثة مقالات يهاجم صحافيوها سياسة كيري. ورأى أن هذا جاء نتيجة لشعور «الإسرائيليين» بأنهم أصبحوا معزولين، وأنّ العالم عاجزٌ عن فهمهم. وفي ظلّ هذا الشعور المتفاقم بعدم الأمان، أعتقد أن «الإسرائيليين» كانوا ينتظرون خيانة الولايات المتحدة، علماً أن وزير الخارجية والرئيس الأميركيين صرّحا مراراً عن حق «إسرائيل» في الدفاع عن النفس. فهم فسروا تصريحات كيري وإجراءاته على أنها تقويض لـ«إسرائيل» لمصلحة حماس، وهدم للتوافق المزدهر بينهم وبين كلّ من السعودية ومصر.

في الحقيقة، ولسوء الحظ، كان هذا ما حصل، وقد غذّى هذا الواقع أحد المسؤولين «الإسرائيليين»، لم يُكشف عن إسمه بعد، ممن وصف كيري بأنه «يقود هجوماً إرهابياً استراتيجياً»، ما أغضب فعلاً الرئيس الأميركي.

● إذاً، نظرياً؟

– أعتقد أنّ العرض الذي طرحه جون كيري على رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، كان أفضل بكثير من المبادرة المصرية ـ التي انهارت عملياً في غزّة ـ ولسوء الحظ، لا يتعاطف الناس مع هذه الوقائع، والحملة التي شُنّت على وزير الخارجية كانت فظيعة. وصراحةً أقول، أنني لم أشهد على شيء مماثل طيلة ثلاثة عقود من مراقبتي العلاقات الأميركية – «الإسرائيلية».

● يبدو أنّ «الإسرائيليين» ـ حتى الآن ـ يفلعون ما يحلو لهم من دون محاسبة بفضل العلاقة الأمنية الوطيدة التي لا تتوقف على طاولة الرئيس. إذاً، يمكن لوزير الدفاع أن يقول ما يشاء كونه يعلم مسبقاً أنه ما من عواقب محتملة على أفعاله هذه. إما هذا، أو انهم يختبرون حدود هذه العلاقة التي لم نستشعرها نحن بعد؟

– أتعلم، أرى أنّ واشنطن تبدي الكثير من الصبر والتحمّل بسبب التزامها الأساس في هذه العلاقة. وأعتقد أن جون كيري يتمتع بسجلّ مشرّف في «إسرائيل» ـ ثلاثون سنة في مجلس الشيوخ، زِدْ على ذلك الدعم الكامل – وهذا لا يعود مردّه إلى أن لجنة الشؤون العامة الأميركية ـ «الإسرائيلية» هي التي طلبت منه القيام بذلك، بل فهمه أهمية العلاقات الأميركية ـ «الإسرائيلية» واستراتيجيتها.

لذا، وكما تعلم، هناك تسامح مع حوادث لفظية كهذه والتي قد تحصل، فكيري يعلم أنها غير صحيحة. لكن الولايات المتحدة كبيرة وقوية جداً، وقد شبّهها أحدهم بالديناصور، وسيستفيق هذا الديناصور يوماً ما، ويرفع ذيله وينزله مجدّداً. وحينذاك !!! ... فيما أنه ما من عواقب لفعلة اليمين السياسي هذه، أرى أنه من التهوّر الافتراض أنه لن يكون هناك محاسبة يوماً ما. ومهما اعتقدت «إسرائيل» أن الولايات المتحدة تحتاج إليها، فعندما يبلغ السيل الزبى، تكون القاعدة هي التالية: «إسرائيل» محتاجة أكثر إلى الولايات المتحدة. ومن المحتمل ان تكون هذه هي القاعدة المتبعة من الآن فصاعداً. فليس من المستحسن أن نكون سيئي النيّة.

* حوارٌ خاص مع المبعوث الأميركي السابق الخاص مارتن إنديك حول حلفاء «إسرائيل» الجدد، انفجار غزّة، وانكفاء واشنطن بعد انهيار محادثات السلام.

ترجمة: ليلى زيدان عبد الخالق